الفجر

العدد 17 ـ رمضان 1436 / حزيران 2015

من أدواء التعامل مع الحدث اليومي 06

التأصيل الشرعي للموقف من النصيرية 12

قل هو من عند أنفسكم 20

الشيخ رشدي المفتي 32

الفجر

تصدر عن مكتب الشباب
في جماعة الإخوان المسلمين في سورية

فريق التحرير

م. حسام غضبان رئيس التحرير
د. عامر غضبان محرر
أسامة السيد عمر محرر
عبد الكريم اليماني محرر
أحمد يحيى الطويل محرر
منى السعيد التسويق الإلكتروني

تصفح المجلة www.alfajrmg.net
تواصل مع المجلة alfajr.mg@gmail.com

المقالات المنشورة تعبر عن رأي كتابها
ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة أو هيئة تحريرها

المحتوى..

04 مرحلة جديدة قادمة
الافتتاحية

06 أليس المؤمن مسؤولا؟
محمد عادل فارس

10 من أدواء التعامل مع الحدث اليومي
سحبان مشوح

12 التأصيل الشرعي للموقف من النصيرية
د. أحمد حوى

14 بين الرأي والحديث.. لماذا وكيف تمذهب المسلمون؟
إبراهيم العلبي

18 سنن التغيير الحضاري
د. أحمد محمد كنعان

20 قل هو من عند أنفسكم
د. محمد عياش الكبيسي

24 أشد من الكذب
خالد روشه

26 فتوى | هجرة السوريين إلى بلاد غير المسلمين
هيئة الشام الإسلامية

31 الشيخ رشدي المفتي
جميل ناصر

33 بلاد العرب (قصيدة)
معاذ الزعبي

35 فيسبوك

مرحلة جديدة قادمة

لقد انتصرنا، أو نحن مقبلون على انتصارات، أو ربما ما زلنا بعيدين عن حسم المعركة ...

لقد سقط النظام، أو هو قريب من السقوط، أو ربما هو أقوى مما نتوقع ...

كلها احتمالات ممكنة، لا نريد الترجيح بينها، إنما نريد التأكيد أننا في مرحلة جديدة، تغيرت فيها موازين القوة، بعد مرحلة سابقة بدت جامدة تستنزف كل الأطراف.

المرحلة الحالية والقادمة هي من نتائج وتوابع مراحل سابقة، تعلمنا منها الكثير، رأينا الأمة

تقدم وتضحي، ورأينا قياداتها تجتهد وتحاول، وما كنا نشاهده من وقائع ونعيشه من أحداث هو من آثار استجابة الأمة لتحديات كل مرحلة، استجابة الاجتهاد الذي تجتهده القيادات، واستجابة التطبيق الذي يتوجه إليه المجتمع ويقبل عليه أفراده وتتبناه مؤسساته.

وأولو الأبصار الذين يسعون للاعتبار من تداول الأيام لا بد أنهم يذكرون نتائج الاجتهادات الموفقة والقاصرة، ومواقف التوجه القوي ومشاهد الضعف والفشل في استجابة المجتمع.

وهذه المرحلة الجديدة القادمة تحمل تحديات من أنواع جديدة، وتتطلب اجتهادات في مسائل جديدة، واستشرافا لتفاصيل المواقف الجديدة، وتتطلب أيضاً عمليات وتوجهات اجتماعية مختلفة، إنها تتطلب آليات مناسبة لحفظ حالات الوحدة والتماسك، واستثمارها للوصول إلى واقع التمكين للأمة، واندفاعها نحو تحقيق غاياتها الكبرى.

وللتذكير فقط نقول: ربما تؤدي نشوة النصر إلى حالات من الوهن والاستسلام، لا تختلف عن الحالات التي تؤدي إليها مشاعر اليأس والعجز.

معنى ذلك أن كل الخيارات والاحتمالات تستوجب الاجتهاد والعمل، الاجتهاد لمعرفة الحق وتحري الصواب، والعمل لإحقاق الحق وتثبيت الصواب، فكل قائد، بل كل جندي، مطالب بأداء دوره على بصيرة، باتباع الحق حيث كان، واجتناب الخطأ قدر الإمكان.

وبدون ذلك قد نقع في بلوى إعجاب كل ذي رأي برأيه، ونتحول أحزابا وفرقا، كل حزب بما لديهم فرحون.

إن المسائل التي ستواجهنا في المرحلة القادمة كبيرة وشائكة، والخلاف حولها متوقع، وليست المشكلة في حجم هذه المسائل وطبيعتها، فاجتهاد المجتهدين المخلصين يمكن أن يقدم لهذه القضايا حلولها، إن المشكلة في الذين يضعون لعودتهم إلى الحق شروطا مسبقة، سواء كان هؤلاء علماء ومفكرين، أو قادة ورؤساء، أو أفراداً.

أما إذا استطعنا مواجهة هذا التحدي، وعبور هذه المرحلة بما يرضي الله تعالى، فإننا نرجو أن نكون من الذين وصفهم الله تعالى بقوله:

(الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ)

[الحج: ٤١].

أليس المؤمن مسؤولا ؟

محمد عادل فارس

بسم الله الرحمن الرحيم

حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصرُ الله؟!

صدق الله العظيم

كثيراً ما تتردد على ألسنة الكُتّاب والخطباء عبارة تقول: علينا أن نبذل الجهد، ولسنا مسؤولين عن النتائج، لأن ترتيب النتائج على الأسباب يكون بأمر الله!.

هذا الكلام بجملته صحيح، لكن التعامل معه، بين مُفْرط ومفَرِّط، يؤدي إلى تباين كبير في فهمه أولاً، وفي قبوله أو رفضه انتهاء.

وحقيقة الأمر ترتبط بفهم المسلم لكلمة «التوكل». فمع أن عامة المسلمين يدركون أن التوكل على الله لا ينفي الأخذ بالأسباب، تراهم، في واقع الأمر، يجْنحون ذات اليمين وذات الشمال...

فالعاجز الذي «أتْبَعَ نفسه هواها، وتمنّى على الله الأماني»[1] يستمرئ الكسل والقعود، ويبخل بالجهد والمال، فضلاً عن بخله بالروح والنفس، ويقدّم للأهداف الكبرى جُهْد المُقِلّ، وفضلات المال، وينتحل الأعذار، ويفلسف الشح والجبن، ويتبرَّم بأي بلاء يناله أو ينال ذويه... ثم لا يجد حرجاً أن يستبطئ الفَرَج والنَّصر، أو يعلّق الإخفاق على (شمّاعة) الآخرين، ويربط رضاه بما يناله من مكاسب ذاتية (فإن أصابه خيرٌ اطمأنَّ به، وإن أصابته فتنةٌ انقلب على وجهه) سورة الحج: ١١

وببساطة، فإن هذا الصنف من الناس يسعى باتجاه التنصُّل من المسؤولية عن النتائج، فهو، في زعمه، قد قدَّم ما عليه، وليس عليه الوصول إلى الأهداف، فهذا الوصول مرتبط بقضاء الله وقدره. وإذا كان هناك تقصير ما، في الأخذ بالأسباب، فليس ذلك تقصيره هو، إنما هو تقصير الآخرين!.

وبالمقابل نجد آخرين يرقُبون الساحة من بعيد، أو من قريب، ويترصَّدون أخطاء العاملين وقصورهم، ويصفونهم بقِصَر النظر، والتعجُّل، والتخبط... ويحمّلونهم مسؤولية العجز، وتفويت الأهداف والغايات، ويتهمونهم بالتفريط في أسباب التخطيط والإعداد والبناء، وبضيق الأفق، وقلة النضج السياسي، والجهل بأسباب قيام الجماعات والمجتمعات... ويقولون

(١) جزء من حديث رواه أحمد وأبو داود والترمذي، وقال الترمذي: حديث حسن.

في النهاية: لا تعلّقوا إخفاقكم على القضاء والقدر، ولا تتهربوا من تحمل المسؤولية بحجة أنكم غير مسؤولين عن النتائج.

وقبل أن نعلق على قول هؤلاء وأولئك، نؤكد أن العاملين في الحقل الإسلامي ليسوا بالضرورة من أحد الفريقين، بل إن أكثرهم قد وعى المسألة وعياً صحيحاً، ولئن كان في العمل الإسلامي ضعف فلأسباب أخرى، من داخل النفوس وداخل الصفوف... ومن خارجها.

❖ إن مسؤولية المسلم عن نتائج عمله لا يمكن إعفاؤه منها مطلقاً، ولا تحميله إياها مطلقاً.

في غزوة أحد، عندما تغير وجه المعركة في ساعتها الأخيرة، ونزلت بالمسلمين الجروح والقروح، وقال بعضهم: أنّى هذا؟! كان ردّ القرآن الكريم: (قل: هو من عند أنفسكم). آل عمران: ١٦٥ ، وبيَّن لهم أن (منكم من يريد الدنيا، ومنكم من يريد الآخرة) آل عمران: ١٦٥ . فأنتم المسؤولون عما حدث..

❖ وفي جانب آخر فإن نصوصاً في الكتاب والسنة تطالب المؤمن أن يدعو إلى الله، ويجاهد ويصبر... ولا ينتظر النتائج، فإن الفرج والنصر، ونزول بأس الله بأعدائه... أمور بيد الله وحده، يحققها وفق حكمته متى يشاء:

(فاصبر إن وعد الله حق، فإما نرينّك بعض الذي نعدهم أو نتوفينَّك فإلينا يرجعون)غافر: ٧٧

(فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً. إنْ عليك إلا البلاغ) الشورى: ٤٨

❖ «والله ليُتمَّن اللهُ هذا الأمَر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا اللهَ والذئبَ على غنمه، ولكنكم تستعجلون». رواه البخاري

وليس بين الجانبين تعارض، فالمسلم مأمورٌ ابتداءً بتوجيه قلبه وجوارحه إلى الله، وبذّل ما يملك في سبيل الله، وتوطِين نفسه على طاعة الله وتقواه، والصبر على ألوان البلاء... فإنْ هو التزم ذلك فقد نصَرَ الله، واستحقّ وعْد الله بالنصر، فإذا تأخر النصر بعدئذ، لأمور ليس له فيها يد، فذلك من أمر الله، لا من مسؤولية الإنسان. وغالباً ما يكون تأخر النصر، أو نزول البلاء، نتيجة مرض في النفوس، أو خلل في الصفوف (ولِيَبْتَلِيَ اللهُ ما في صدوركم، وليُمَحِّصَ ما في قلوبكم)، فقد وعد الله بنصر من ينصره، وبتمكين الذين آمنوا وعملوا الصالحات.

نعم، إن للنصر صوراً شتى ربما لا يفقهها المتعجِّل المتضجِّر، وإن استجابة الدعاء تكون على أنحاء شتى لا يبصرها إلا الذين يفهمون عن الله، ويعيشون في طمأنينة ذِكْرِهِ ... لكن قد يتأخر النصر، أو تتأخر إجابة الدعاء، على الصورة التي ينتظرها المؤمن...ومن مقتضى هذا التأخر وذاك أن يعيد المؤمن النظر في عمله، وموقفه، وشعوره، وأن يتأمل قوله تعالى: (إن الله لا يغير ما بقومٍ حتى يغيروا ما بأنفسهم). الرعد: ٨.

إنها حقيقة واحدة ذات جانبين: الأول: أن على المؤمن أن يستقيم على الطريقة، وأن يقدِّم في سبيل الله كل شيء، والثاني: أن لله قَدَراً ومشيئة وسُنَناً، تتم الأمور وَفْقها، لا كما يشتهي الإنسان.

وفي ضوء هذه الحقيقة الكبيرة نستطيع أن نفهم النصوص الشرعية:

١- على الرسول صلى الله عليه وسلم، وعلى الدعاة من بعده، أن يقوموا بالتبليغ، وليس عليهم أن يستجيب الآخرون: (فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً، إنْ عليك إلا البلاغ). الشورى: ٤٨.

(إنك لا تهدي من أحببتَ ولكنَّ الله يهدي من يشاء). القصص: ٥٦.

وقد بلّغ النبي صلى الله عليه وسلم الرسالة، وأدّى الأمانة، وعلينا أن نتبع سنته ونسير على طريقه.

٢- على الرسل والدعاة من بعدهم أن يتحملوا صنوف البلاء ويصبروا ويَثْبُتوا حتى يأتي الله بنصره: (لتُبْلَوُنَّ في أموالكم وأنفسكم، ولتسمعُنَّ من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذىً كثيراً. وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور). آل عمران: ١٨٦. (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل). الأحقاف: ٣٥. (حتى إذا استيئس الرسل وظنوا أنهم قدْ كُذِبوا جاءهم نصرنا فنجِّيَ من نشاء). يوسف: ١١٠.

٣- والنصر لابُدَّ آت لمن نصر الله وصدَق معه: (ولينصُرَنّ اللهُ من ينصُرُه). الحج: ٤٠. (وعد الله الذين

آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم..). النور: ٥٥.

(ولقد كُذّبت رسل من قبلك فصبروا على ما كُذّبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا، ولا مبدّل لكلمات الله. ولقد جاءك من نبأ المرسلين). الأنعام: ٣٤.

٤- تأخر النصر يقتضي مراجعة الذات: (أوَلمّا أصابتكم مصيبة قد أَصبتم مِثْليها قلتم: أنى هذا؟ قل: هو من عند أنفسكم). آل عمران: ١٦٥.

٥- قد يتأخر النصر حتى تقتضي حكمة الله تحقيقه في الوقت المناسب الذي ربما لا يكون خلال أعمار الدعاة والعاملين (فإمّا نرينَّك بعض الذي نَعِدهم أو نتوفينَّك..). غافر: ٧٧.

المؤمن الحق لا ينفك عن السير في الطريق الصحيح، وهو يوطن نفسه على تحمل البلاء وتأخر النصر، ويراجع نفسه كل حين، لعله أخطأ أو قصَّر فكان ذلك هو السبب وراء تخلُّف النتائج.

وما أحرانا أخيراً أن نعرض أنفسنا على ميزان البيعة التي جعل لها الإمام البنا -رحمه الله- عشرة أركان، يمثِّل التحقُّقُ بها القيم الإيمانية العليا:

«أركان بيعتنا عشرة فاحفظوها: الفهم والإخلاص والعمل والجهاد والتضحية والطاعة والثبات والتجرد والأخوة والثقة».

والحمد لله رب العالمين

من أدواء التعامل مع
الحـــدث اليومـــي

سحبان مشوح

إطلالة عجْلى على داعين يكتنفان عمل كثير ممن يتصدّى لتفسير الحدث اليومي!

قال الله تعالى: «أرأيتَ من اتخذ إلهه هواهُ، أفأنت تكون عليه وكيلا» [٤٣ الفرقان].

جاءت هذه الآية في سياق الإبانة عن التنافس الأيديولوجي بين المسلمين بواكيرَ الدعوة وبين خصومهم؛ فقد ضجّت قريش من علو القرآن وإذعان الناس له، وأثره في تحطيم مكانة القوم السياسية والاقتصادية والاجتماعية؛ فلم يجدوا سوى السخرية بابًا ليلجوا منه إلى مبتغاهم في التقليل من قدْر النبي صلى الله عليه وسلم -حاشاه- في نفوس الملتحقين بركب دعوته؛ فقالوا قولتهم الساخرة المستنكرة: «أهذا الذي بعث الله رسولا»؟!

المنافسة الأيديولوجية باب من أبواب عبادة الهوى، ومزلق من مزالق النفس؛ تستجلب العبودية للذات وما يصدر عنها، وتحيط الفكرة وأصحابها بهالة من القداسة مصطنعة؛ يفرضها العناد والإعجاب بالرأي والانكفاء على المناصرين .. وعند ذلك؛ تختلط الأوراق أمام الناس، وتتشابه المفترقات وتتشعب الطرقات، وتعمى الأبصار والبصائر؛ فلا يبين الصواب من الخطأ، ولا الحق من الباطل .. بل يعمد أهل الهوى من عبيد الأيديولوجيا إلى التلبيس والتدليس والتشويه لنصرة آرائهم وتقوية حججهم، وإضعاف خصومهم، عبر ليّ أعناق النصوص، واحتكار الفهم والرؤية السويّة، والتقليل من الآخر المنافِس برميه بالقصور والسطحية!

ثم أمر آخر؛ وهو الطور التالي؛ لتصبح الأيديولوجيا رِبقة في عنق صاحبها لا يستطيع الفكاك منها بحال؛ فهو مرتهن لها، خاضع لسطوتها، تستحكم به، وتسيطر على قواه في التحليل والتكييف للأحداث في سياقات الزمان والمكان .. لينتصر لفكرته وإن كانت شوهاء، أو يؤيد مجموعته وإن كانت على الضلال .. وهذه هي العبودية بعينها .. عوضَ أن تكون الأيديولوجيا وقودا لصاحبها وعقيدة صُلبة ينطلق منها لإيضاح الحق واتباعه، وإن خالف النفس والشيطان!

وعيب آخر ليس أقل فتكا من صاحبه؛ وهو المثالية في النظر إلى التاريخ والواقع وفي تفسير الأحداث واستشراف المستقبل؛ قال تعالى: «وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك، قال إني أعلم ما لا تعلمون» .. وقال سبحانه: «ألا يعلم من خلق»؟!

إننا هنا أمام طبيعتين اثنتين متغايرتين؛ ملائكية وبشرية .. وسعي الإنسان في هذه الدنيا لا يتطلع إلى الوصول إلى ملائكية قاصرة على الخير، بل يدور حول بشرية مزدوجة

الطبيعة حرة الإرادة، محمّلة بأمانة شاقة، فرضت عليها خيارين لا ثالث لهما؛ «وهديناه النجدين» .. «إما شاكرا وإما كفورا» .. فهو يتقلّب بين الطبيعتين على جمر حارق من الأهواء والتحديات والصعاب .. وأمام هذا الابتلاء كان هذا التكريم: «اسجدوا لآدم؛ فسجدوا» .. ثم إلى النعيم أو الجحيم!

ثم ومن خلال هذا التقلب على جمر الإرادة الحرة؛ تصطرع الآراء، وتستبد الشهوات، وتصطخب الذوات، وتصطف القوى وتشتبك الأيدي، فيفسد الإنسان في الأرض ويسفك الدماء! .. ولذا فرض الله الجهاد وجعله ذروة سنام الإسلام .. ليكون حكما عدلا بين الخصوم؛ فيرتدع الباغي وينكفئ الصائل ويستعلن الحق ويزهق الباطل!

ولأن أصحاب الحق بشر كذلك؛ فإن الباطل يتلبّس بعضَ سلوكهم، ويشوب شيئا من فعالهم؛ مما يستدعي تدافعا داخليا يجنب الأمة فساد الأرض، وأسن الحياة؛ في حركة موّارة تستخرج أرذل ما في الطبيعة البشرية من خصال؛ لتقذف بزبده بعيدا وترمي بباطله إلى حيث يدمغه الحق!

هذه هي الواقعية كما تتجلى في آي الذكر الحكيم وفي سيرة النبي الكريم؛ وفي تجارب أربعة وعشرين قرنا؛ هي تاريخ البشرية المكتوب بالدم والجماجم؛ لا تعالِيَ فيها على طبيعة الناس ولا مصادمة لها مع فِطر البشر.

ويرحم الله محمد بن طلحة بن عبيد الله؛ إذ يناشد قاتله في معركة الجمل بـ «حم»! فيقول قاتله بواقعية السياسي وحزن المشفق!!:

وأشعثَ قوّامٍ بآيات ربه
قليل الأذى في ما ترى العين مسلمِ
شققت له بالرمح جيب قميصه
فخرَّ صريعا لليدين وللفمِ
على غير شيء غير أن ليس تابعا
عليّا ومن لا يتبعِ الحق يندمِ
يذكّرني «حم» والرمح شاجر
فهلا تلا «حم» قبل التقدمِ ..!

وأشدّ ما يكون فتك هذين الداءين؛ ما كان متعلقا باستشراف المستقبل واستيضاح الآتي من الأحداث؛ فإن عبيد الأيديولوجيا والخاضعين لسطوة المثال؛ يبنون مكانة مستقبلهم على جرف هار، ويخطّون آمال أجيالهم على الماء، ويشيدون قلاع دفاعهم من الرمال!!

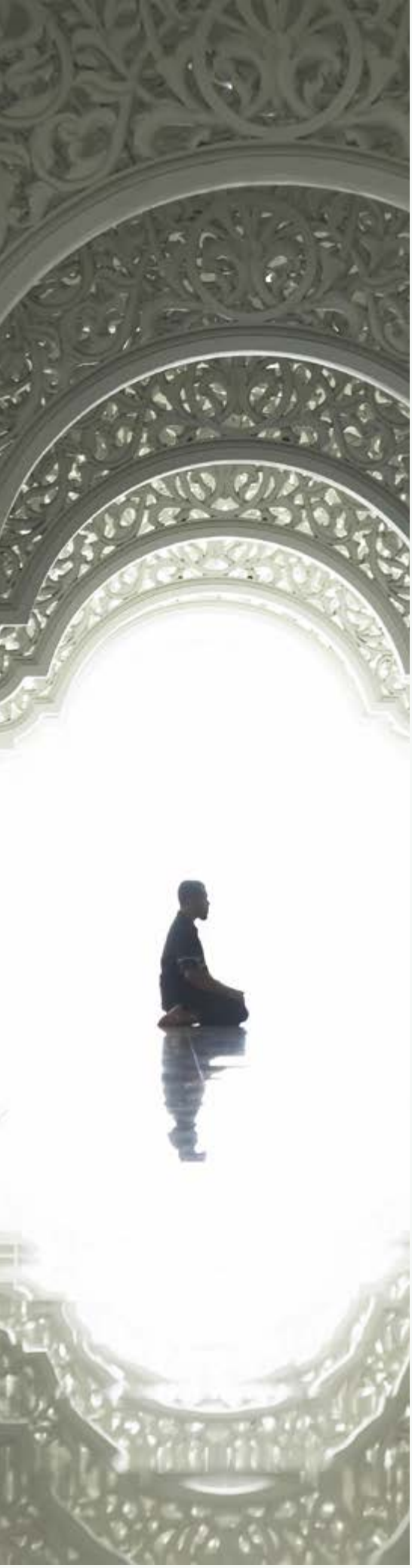

التأصيـــــل الشرعـــــي
للموقـف من النصيريـــة

د. أحمـــــد حـــــوى

حديثي هذا ليس جديدا، وليس فيه تنازل أو مجاملة، وإنما هو تعبير عن فهم لحكم شرعي أراه تأصيلا في العلاقة مع الطائفة أو الطوائف عموما، وقد طرحته ولا زلت من بداية الدورات الشرعية التي عقدناها في ظل الثورة.

وقد رأيت أن الحوار في هذه القضية تجاوز مبدأ الحوار إلى التهكم والطعن في النوايا، وخرج عن بعض الأحكام التي أعتبرُها مسلمات.

ليست المشكلة في الحوار و إبداء وجهات النظر لكن المشكلة أن يجعل بعضهم رأيه ديناً وأن يلزم الجماعة به، ثم يسفه رأي الجماعة و منهجها.

وقبل أن أصل إلى ما أريد ألفتُ النظر إلى أنني لست هنا بصدد مناقشة الموقف العقدي من الطائفة، ولا الدور التاريخي لهذه الطائفة و أمثالها.

ولست بصدد تبرئة الطائفة من موقف إجمالي منحاز للنظام المجرم بقبولها أن تكون مطية للتوظيف السياسي لجهات إقليمية أو دولية تآمرت على الأمة ومشروعها، ولست بصدد تبرئة رموز الإجرام أوأكابر المجرمين، لكني بصدد بيان الموقف الشرعي الصحيح الذي تمليه النصوص والفهم الصحيح لها. والموقف الصحيح يحتاج إلى فهم صحيح للواقع وتكييف دقيق له.

وهنا ألفت النظر إلى أن معركتنا ليست طائفية بالمعنى الحرفي، فهناك طوائف أخرى لا نقاتلها، وهناك كثيرون من أبناء السنة شاركوا النظام في جرائمه بل أمعنوا في القتل و الإجرام.

وألفت النظر إلى توجيهات ربانية هي بمثابة قواعد

مُحكمة في هذا الباب:

منها: «ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى»

ومنها: «وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين»، ومنها: «ولا تزر وازرة وزر أخرى» وهذه الآية مخصِّصة لقوله تعالى «وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به»، ويشهد لهذا التخصيص نهيه عليه الصلاة والسلام عن قتل الصبي و المرأة و الشيخ.

وهذا يوصلنا إلى أنه ليس عندنا شيء اسمه إبادة جماعية أو استئصال.

والأهم أن نعلم أن صراعنا مع النظام هو نوع من الصراع أو القتال الداخلي، ومرده إلى الحرابة بمعنى أننا نقاتل هذا النظام ومن وقف معه لحرابتهم وعدوانهم، وهذه هي العلة في قتال هؤلاء بنص القرآن، فإن الله تعالى وضع لنا دستور التعامل مع غير المسلمين وجعلهم مسالمين أو محاربين، وأعطى لكل قِسمٍ حُكمَه، فلا يجوز الخلط بينهما، قال تعالى: «لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين. إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم و ظاهروا على إخراجكم أن تولوهم...».

والآن ومع توالي انتصارات المجاهدين و تهاوي معسكرات النظام ماذا نفعل إذا سقط النظام؟ هل نعمم العقوبة ونأخذ الطائفة بجريرة مجرميها بغض النظر عن حجم هؤلاء و أعدادهم؟

يحاول البعض هنا أن يستشهد بما فعله النبي صلى الله عليه و سلم يوم بني قريظة، ويظن أن النبي صلى الله عليه وسلم عمم العقوبة على هؤلاء، وهذا غير صحيح، فقد قتل النبي صلى الله عليه و سلم مقاتِلتَهم، و هذا أيضا ليس على عمومه، لأن المقصود هنا من كان من أهل القتال وشارك في الغدر فعلاً، بدليل أن بعض الروايات ذكرت أنه لم يقتل إلا من كان في الحصن عشية الغدر، فلم يقتل مزارعا أو تاجرا أو مسافرا أو راعيا من بني قريظة كان خارج الحصن وقت الغدر، و هذا يؤكد أن علة القتل و العقوبة هي المشاركة الفعلية في الغدر.

وبناء على كل ما سبق فإن شعارنا للمرحلة القادمة هو معاقبة المجرمين أيا كانوا وأيا كان انتماؤهم الطائفي أو العرقي، وليس إبادة الطائفة ولا استئصالها ولا تشريدها، والله أعلم.

بين الرأي والحديث..

لماذا وكيف تمذهب المسلمون ؟

إبراهيم العلبي

إن مدارس أهل السنة منذ عصر الصحابة تقريبا وبصورة أوضح في عصر التابعين كانت ثلاثة.. هي مدرسة أهل الحديث أو أهل الاثر، التي أسس بذرتها عبد الله بن عمر في المدينة، وتبعه نافع وعطاء والثوري وابن عيينة وغيرهم، ومدرسة «أهل الفقه» أو أهل الرأي، التي أسس بذرتها عبد الله بن مسعود في الكوفة، وتبعه الشعبي والنخعي وحماد وربيعة الرأي وغيرهم..

ولما بلغ الخلاف بين المدرستين أشده، وظهر غلاة في كلا الجانبين، كما ظهر معتدلون أيضا، نشأت مدرسة ثالثة، حاولت الجمع بين المنهجين، وأبرز رواد هذه المدرسة الزهري الفقيه والمحدث، لتتبلور بصورة أوضح على يد تلميذه الشافعي، وعنها نتج تدوين علم اصول الفقه، فيما تبلورت مدرسة الحديث على يد مالك بن أنس في المدينة والأوزاعي في الشام، وغيرهما، كما تبلورت مدرسة الفقه على يد أبي حنيفة وتلامذته.

يشار إلى أن المدرسة الجامعة بين منهجي المحدثين والفقهاء ليست هي الصواب مطلقا في كل فروعها، ولكنها نشأت تاريخيا على هذا الأساس، أي الجمع بين المنهجين.

ومع توسع مدرسة الفقهاء في العراق وغلو بعض علمائها في إعمال الرأي في مقابل الحديث، ونشوء مذاهب من «غلاة المعتزلة» تدعو لإعلاء العقل فوق النص بالمطلق، انبعثت مدرسة الحديث في العراق بقوة، لا سيما مع قدوم الشافعي من الحجاز، عندما كان حديث عهد بمجالس مالك وموطئه، وتبلورت المدرسة الحديثية العراقية لاحقا في أحمد بن حنبل، ويحسب على هذه المدرسة أبو داود السجستاني صاحب السنن، وأعلت هذه المدرسة من شأن الحديث إلى درجة تقديم الحديث الضعيف على القياس المستند إلى أصل صحيح، والأخذ بالحديث الضعيف مطلقا، ومن ثم نقل عن أحمد بعض الفتاوى المستغربة كما نقل عنه قولان متضادان في المسألة الواحدة كثيرا، وذلك تبعا للتعارض الظاهر بين أحاديث الآحاد خاصة وأن بينها الأحاديث الضعيفة.

في المحصلة سنكتشف أن المذاهب الأربعة المعروفة ما هي إلا أقطاب العقل الإسلامي عبر التاريخ، وهي أيضا أحد أوجه هذه الأقطاب، التي كان لها جذور ومظاهر أخرى في ميادين شرعية أخرى، وترجع جميعها إلى أصل واحد تتفرع عنه وتختلف ابتداء منه، وهو منهج التعامل مع تعارض النص الشرعي، خاصة النبوي منه، مع الرأي.

فالمالكية هي المظهر الحجازي لمدرسة أهل الحديث، وهي وإن لم تنكر القياس إلا أنها لم تتوسع في إعماله، وتوسعت، عوضاعنه، في الاستصلاح، أو المصالح المرسلة، وكان لمبدأ عرف أهل المدينة والأخذ به لدى مالك أثر في رد المالكية لأحاديث آحاد على الرغم من صحتها، وهذا خلاف ما طبع معظم رموز هذه المدرسة سابقا.. وحتى لاحقا في المظهر العراقي من هذه المدرسة.

والحنفية هي المظهر السني شبه الوحيد لمدرسة أهل الفقه أو الرأي، إذ إن المعتزلة أيضا ينتمون إلى هذه المدرسة، لكنهم يصنفون في خانة الغلو على تفاوت بينهم، واتسمت الحنفية بإعلاء شأن القياس

والاستحسان، وتوسعت في الأخذ بهما، وشددت شروط قبول حديث الآحاد، فردت منه ما لم يحقق شرطها، إلا أن شيوع الحديث لاحقا في العراق، وتعرض هذه المدرسة لتجربة التشريع للدولة، منذ أبي يوسف الذي عين قاضي القضاة في بداية الدولة العباسية وَلَّدَ لديها العديد من الترجيحات التي خففت من حدة التوسع في الرأي، بالإضافة إلى التزام أبي حنيفة باحتهادات الصحابة فيما اختلفوا فيه مع عدم الخروج عنها، لكن الخلاف بينها وبين المدارس الأخرى لا يزال قائما، وبصفة ندية.

وأما الشافعية فمثلت المذهب الذي حاول الجمع بين المنهجين، لكنه كان ميالا في الفروع العملية لمدرسة الحديث أكثر، وبسبب جهده في إحياء الحديث في العراق لقب الشافعي بمحيي السنة هناك، ولم يختلف في مذهبه الجديد في مصر عن هذا النهج سوى أنه غير رأيه في العديد من المسائل الفرعية، لكن أهم ما نتج عن هذه المدرسة هو علم أصول الفقه، فقد كان الهدف من الرسالة التي كتبها الشافعي هو تدوين الأصول المتفق عليها بين مدرستي أهل الحديث والفقه، وبث فيه أيضا اجتهاداته في مسائل أصولية أخرى، وقد كان يستنكر القول بالاستحسان ..

وأما الحنابلة فقد مثلوا بمذهبهم الجناح العراقي من مدرسة الحديث، وهي كما أسلفت من حيث الأخذ بالحديث مطلقا، وأنكر الإمام أحمد القياس وقال: الحديث الضعيف خير عندي من رأي الرجال، يعني القياس.. وهذه المدرسة وإن لم تأخذ بالقياس إلا أنها أخذت بالمصالح المرسلة جريا على منهاج المدرسة الحجازية، كما أن أخذها بالحديث مطلقا وآثار الصحابة كذلك وفر لها ثروة من الآراء الفقهية التي كان لها أثر في اختيارات بن حنبل.

في العصور اللاحقة، سار المالكية والشافعية في منهج أصولي واحد تقريبا، حتى كان بعض العلماء محسوبا على الشافعية والمالكية في آن معا.. واشتهر منهم العالم المحقق ابن دقيق العيد، لكن الخلاف في الفروع ظل قائما، في مقابل الحنفية التي أصلت منهجا آخر مقابل الأصول الشافعية، فيما ورث الحنابلة مدرسة الحديث عمليا، دون مساهمات أصولية مستقلة.

وقد تجسد الخلاف بين تلك المدارس في علم الكلام، الذي كان مرفوضا لدى أهل الحديث بعامة، ولكن الشافعية والمالكية بعد عصر الأئمة اقتحموه من أوسع أبوابه حتى تبلور هذا العلم على أيديهم ردا على المعتزلة وغيرها من المذاهب الكلامية، وظهر المذهب الأشعري في

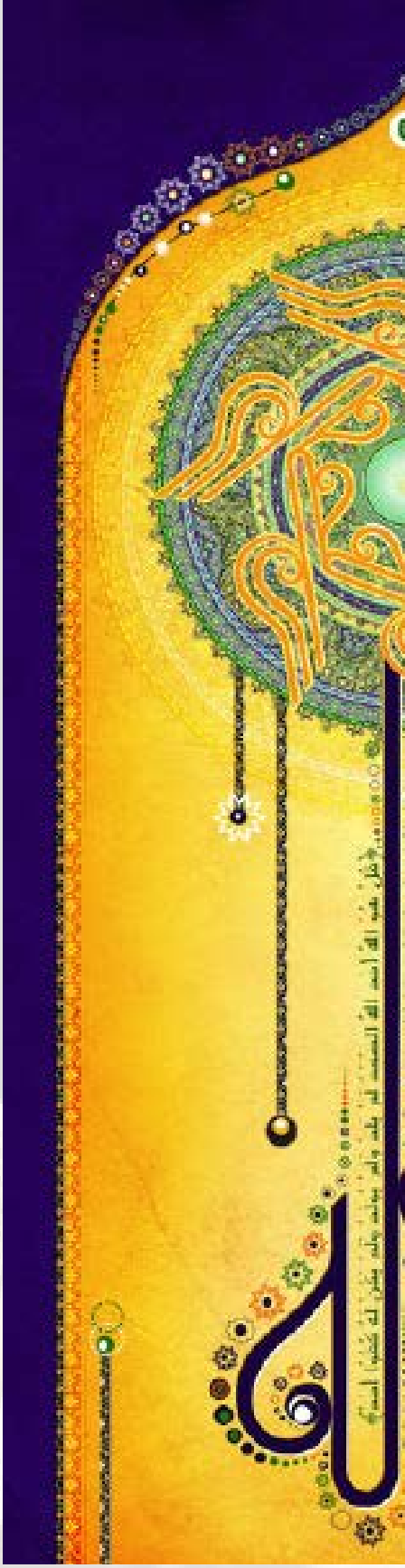

العراق والشام والحجاز ومصر والمغرب، بينما ظهر المذهب الماتريدي في بلاد فارس وما وراءها من بلاد الترك، وهكذا بات علماء الحنفية هم علماء الماتريدية، بينما انتشرت الأشعرية بين الشافعية والمالكية.. وكان مذهب الأشاعرة والماتريدية مخالفا لمذهب المعتزلة، لا سيما في مسألة الصفات التي نفاها المعتزلة قطعا، فيما أثبتها الأشاعرة والماتريدية ابتداءا، لكن ضمن حدود تعرف في موضعها..

أما الحنابلة فقد تبلور مذهبهم العقدي عقب فتنة خلق القرآن التي أحدثها المعتزلة، عندئذ برز أحمد بن حنبل كأحد قلة من العلماء ممن قرر التصدي لهذه الفتنة وعدم الانسياق للسلطة، إلا أن ما جاء على لسان الإمام لم يكن واضحا كفاية، ومن ثم انقسمت المدرسة الحنبلية بعد أحمد إلى قسمين، تبعا لموقف كل منهما من مسألة الصفات في علم العقيدة، وتفسير كل منهما لمقولة ابن حنبل حول خلق القرآن، إذ قال عبد الله بن أحمد بن حنبل والأثرم وعدد من تلامذة أحمد بالتوسع في إضافة كل ما ذكر في النصوص من كتاب وسنة إلى قائمة الصفات الإلهية، دون الدخول في كيفية ذلك، فيما روى الخلال من ذات المدرسة عن أحمد آثارا تفيد بأنه أوَّلَ بعضَ ما ورد، ونصر الخلال القول بتفويض المعاني، بدلا من إثباتها وتفويض الكيفية، الذي يقول به القسم الأول، وتبعه على ذلك ابن رجب الحنبلي وابن الجوزي .. وظل هذا الانقسام بين الجناحين حتى ظهور ابن تيمية وتصديه للمسألة بقوة، وتأصيله للقول بإثبات المعاني ومنع التأويل، والرد على من يقول بالتفويض فضلا عمن يقول بالتأويل.. وثارت بسبب ذلك فتن بينه وبين معاصريه من علماء المذاهب الأخرى، انتهت بحبسه وتلميذه ابن القيم الذي انتهج نهجه حتى مات الرجلان في السجن..

وتجسد الخلاف بين هذه المدارس مرة أخرى في الموقف من التصوف، والذي كان لمتأخري الأئمة في القرن الثاني مواقف متباينة منه، تبعا لاختلاف مشارب المتصوفة، فمتصوفة العراق كانوا موضع قبول بشكل عام، بدءا من الجنيد وانتهاء بالجيلاني، بخلاف متصوفة خراسان وفارس، وتبلور التصوف لاحقا على شكل طرق انتشرت بين أتباع وعلماء المذاهب الأربعة بما فيها الحنبلية، وإن بقي بعض العلماء من مختلف المذاهب خارجها، إلا أن تصدي ابن تيمية لغلاة التصوف ومنحرفي المتصوفة أسس جناحا حنبليا رافضا للتصوف بصورة عامة وقطعية، تبلور في دعوة ابن عبد الوهاب النجدية.

سنن التغيير الحضاري

د.أحمد محمد كنعان

❖ لعل أول ما يلفتنا في القرآن الكريم تلك الدعوة التي تتكرر في آيات عديدة إلى التبصر بأحوال الأمم السابقة لكي نتعرف من خلال مسيرتها على سنن النهوض الحضاري فنأخذ بها، ونتعرف على سنن السقوط فنجتهد في تجنبها، وقد كان لهذه التوجيهات الإلهية الحكيمة أثر حاسم في تحقيق تلك النهضة الحضارية الإسلامية العظيمة التي لم يعرف التاريخ مثيلاً لها، والتي تحققت خلال فترة وجيزة جداً من عمر الزمان لم تتجاوز عشرات من العقود والسنوات!

❖ فالتاريخ بمنظور القرآن الكريم هو المختبر الحقيقي لصواب الفعل البشري، وهو المصدر الأساسي للفقه الحضاري، ويؤكد القرآن الكريم على أن اكتشاف سنن الله في الخلق هي من لوازم البناء الحضاري الصحيح.

ويلفتنا القرآن الكريم كذلك في العديد من الآيات إلى أن خالق هذا العالم سبحانه قد جعل في هذا الكون سنناً (= قوانين) تحكم كل ما فيه من مخلوقات وظواهر، وهو ما يعرف في العلوم بـ(قانون السببية) أي علاقة الأسباب بالمسبَّبات، وقد سبق للإمام محمد عبده أن وقف عند قوله تعالى: «قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين» سورة آل عمران ١٣٧، فتمنى على العقل المسلم أن يستخرج من القرآن الكريم علماً جديداً هو «علم الاجتماع الديني» الذي يستخلص سنن التقدم والتخلف، والنهوض والانحطاط، والقوة والضعف، في الأمم والحضارات والدعوات، لكي يكون هذا العلم دليل عمل في محاولات النهوض والتقدم والانعتاق، وكم نحن اليوم في هذا الزمن العصيب بحاجة ماسة إلى هذا العلم، بعد أن فقدت أمتنا العربية والإسلامية فعاليتها ومنهجيتها وصوابها، وتعطلت عن شراكتها الحضارية، وتوقفت عن السير في الأرض والتبصر بالسنن التي تحكم حركة الحياة والمجتمعات، وأمست عاجزة عن التقويم والمراجعة ومعرفة أسباب القصور، وتحديد مواطن الخلل والتقصير ..

وكادت تخرج من التاريخ!

ومن خلال استقرائنا الطويل والعميق لتاريخ الإنسان فوق هذه الأرض وجدنا أن أهم ما يعنيه حمل الإنسان للأمانة. التي ورد ذكرها في القرآن الكريم هو منح الإنسان القدرات العقلية التي تمكنه من القيام بهذه المهمة الجليلة، فإنه بهذه القدرات. التي امتاز بها عن بقية المخلوقات. تمكن من استكشاف العالم، واستطاع فهم الكثير من السنن التي تحكم هذا الوجود، واستطاع إنجاز ما عجز عن إنجازه بقية الخلق، ولولا هذه القدرات الفريدة التي وهبه الله إياها لظل عاطلاً عن الفعل الحضاري، ولظل مثله مثل أي مخلوق آخر في هذا الوجود غير قادر على تغيير شيء في هذا العالم، ولما كانت حاله بأحسن من حال بقية الحيوانات التي خلقها الله عز وجل قبل الإنسان بملايين السنين، لكنها على الرغم من هذه الفترة المديدة لم تتمكن من صنع رغيف خبز، بينما استطاع الإنسان بالمقابل أن يسخر هذه الحيوانات لخدمته، مع أن بينها مخلوقات أقوى منه وأكثر عدداً بما لا يقاس !

بل إن الإنسان استطاع بتلك المواهب العقلية التي تفرد بها أن يسخر كل ما وصلت إليه يده من مخلوقات وظواهر، بل وكثيراً مما لم تصل إليه يده ووصلت إليها أجهزته، كالمركبات الفضائية مثلاً التي وصلت

إلى الكواكب النائية وبدأت تغير فيها، وقد تم له ذلك كله خلال سنوات قصيرة جداً من عمر الزمان مقارنة بتلك الدهور المديدة التي مرت على بقية المخلوقات الحية ولم تستطع أن تغير من حالها أو مما حولها شيئاً، وهذا ما يؤكد لنا أهمية كشف سنن الله في خلقه، ودورها في البناء الحضاري.

❖ وإن مما نأسف له أن هذه الحقيقة على الرغم من وضوحها كالشمس فإن دراسة سنن الله في الخلق لم تلق حتى اليوم الاهتمام اللائق به من قبل العلماء والمفكرين والباحثين المسلمين، وبخاصة منهم الذين ينتمون إلى الجماعات الإسلامية المعاصرة التي مازالت منذ قرن من الزمان أو يزيد تعمل جاهدة على بدء دورة حضارية جديدة لنقل المجتمع من حالة الضعف والجهل والتخلف والتبعية إلى حال القوة والتمكين، والعلم والسيادة والاستقلال ، والالتزام بشريعة الله!

وقد أدى إغفال دور السنن في الجهد البشري من قبل هذه الجماعات وغيرها من الجماعات والأحزاب التي تتبنى فكرة التغيير إلى جعل التكوين الفكري لهذه الجماعات والأحزاب أقرب إلى المثالية النظرية منه إلى الواقعية العملية، كما جعل غالبية الجماعات والأحزاب . إن لم نقل كلها . تدور في حلقات مفرغة لا تدري كيف تخرج منها، فهي من جهة تحس بالأزمة، لكنها من جهة أخرى لم تتقن كيفية التعامل مع هذه الأزمة،

والخروج منها بحلول واقعية تقوم على أسس راسخة من العلم بسنن التغيير! وربما ساهم في تعقيد الأزمة ، وترسيخ هذا الوضع المؤسف، أن معظم المناهج الفكرية التي سارت عليها تلك الجماعات والأحزاب عمدت إلى تناول القضايا بعقلية ذرائعية تميل إلى منطق التبرير والاستسهال، فما أسهل أن نتذرع بأسباب خارجة عنا لكي ننفي عن أنفسنا مسؤولية ما وقعنا فيه من خطأ أو قصور، وما أيسر أن نرد النتائج المخيبة للآمال إلى قضاء الله وقدره، وكأن مثل هذا الرد يعفينا من المسؤولية أمام الله عزَّ وجلَّ، وأما بذل الجهد في البحث الدؤوب عن جذور الأزمة، ومعرفة أسبابها، وتحليل ملابساتها، فليس هذا كله من شأننا .. فتأمل!

ولعلنا في هذا الحديث حول مفهوم السنن الإلهية ودورها في البناء الحضاري نقترب خطوة من نقطة البداية في تناول هذه الأزمة، ولعل هذه الوقفة تعيننا على فهم طبيعة الأزمة التي تعيشها أمتنا الإسلامية اليوم، وترشدنا إلى الطريقة العملية لنتجاوز العقبات التي تحول دون تفكيك هذه الأزمة، والخروج من متاهاتها، والإقلاع نحو دورة حضارية جديدة.. وللحديث بقية.

قل هو من عند أنفسكم

د. محمد عياش الكبيسي

iumsonline.org

يعد النقد الذاتي قيمة من أرقى القيم التي توصلت إليها الخبرة البشرية لبناء الذات وتقويمها، فالإنسان أدرى بنفسه وأخبر بتجربته، وحينما يكون صادقا مع نفسه فإنه سيقدم التوصيف الأدق والأمين، وسيضيف خبرة نافعة للتجربة الإنسانية، لكي لا يستمر الخطأ، ولا يضطر الآخرون لتكرار التجربة والوقوع في ذات الأخطاء التي وقع فيها الأسبقون.

إن ثقافة النقد الذاتي لا تعني القدرة على الاعتراف بالخطأ والاستفادة الذاتية منه فحسب، بل هي (أمانة مجتمعية) ينبغي تقديمها للمجتمع كخبرة مضافة ومعلومة نافعة لبناء التراكم المعرفي لدى الإنسان، شأنها شأن المعلومات (الخدمية) في الطب والهندسة والزراعة والصناعة... إلخ إن حركة الإنسان فردا أو جماعة أو مؤسسة أو حكومة ستترك آثارها وتداعياتها في المحيط الإنساني الأوسع، ولذلك فالناس كل الناس معنيون بتقويم هذا الحراك بأي اسم جاء وتحت أي عنوان كان، فالأرض سفينتنا الكبيرة ونحن ركابها، والخرق الذي يحصل في موضع ما لا يؤثر على أهل ذلك الموضع فحسب، بل على السفينة كلها، ومن حق الناس في ضوء هذه الحقيقة أن يراقبوا كل حركة أو تجربة ويتنبؤوا بنتائجها ومآلاتها، ولكن شتان بين أن يكون هذا النقد من الخارج فقط، وبين أن يكون مركبا بحركة لولبية بين الداخل والخارج عبر حوارات ومناظرات وتقارير علمية وموضوعية، إن هذه الطريقة هي الأقرب لأداء الأمانة، ولتجاوز ثقافة الاتهامات و(سوء الظن) والتي تقابلها عادة ثقافة (التبرير) والتكلف في الدفاع عن النفس، وبين هذه الثقافة وتلك تضيع الجهود وتعمّق الفجوات.

في (نكسة أحد) تلفت الصحابة ليجدوا سببا للنكسة، كثرة الكافرين؟ خيانة المنافقين؟ لكن القرآن وجههم إلى عمق الذات (أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ) [آل عمران:١٦٥]، لا تلتفتوا يمينا أو شمالا، فميدان النقد الأول هو الذات (أنفسكم) وهذا الموقف القرآني يؤكد أن (النقد الذاتي) ثقافة إسلامية قبل أن يكون ثقافة غربية، وقد ترسخت هذه الثقافة عبر مقولات (محاسبة النفس) و(حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم)، لكن الأمانة العلمية تتطلب منا الاعتراف بأن هذه الثقافة في أمتنا الإسلامية كانت أقرب للنزعة (الصوفية) الفردية، ولم تأخذ بُعدها المطلوب في التجارب الجماعية والمؤسسية، مع أن آية (قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ) وردت أساسا في العمل الجماعي وليس في العمل الفردي، وهذه إحدى الإشكاليات التربوية الخطيرة،

فالمحرمات الكبيرة كالرياء والأنانية والشح والإعجاب بالرأي... إلخ كلها سحبت من مدلولاتها (الجماعية) إلى مدلولاتها (الفردية) مع أن وجود هذه الأمراض في الجماعات أخطر بكثير من وجودها في الأفراد، وهذا -لا شك- أحد مظاهر ذوبان الفرد وسحق شخصيته تحت (عجلة الجماعة).

إن القرارات الخطيرة والكبيرة عادة ما تتخذها الجماعات والمؤسسات والحكومات وليس الأفراد، والتربية التي تركّز قيمة المراجعة والمحاسبة في الأفراد هي تربية قاصرة وربما مشوّهة ولا يتوقع منها إلا النتائج المشوّهة أيضا، ومنها ربط الإخفاقات الجماعية بمواعظ فردية تنتهي بقول الخطباء والوعّاظ (ارجعوا إلى

الله)، وهذا الرجوع غير قابل للقياس، وبالتالي سيتحوّل إلى قعر من (الجلد النفسي) لا قرار له، فلو انتهينا من تسجيل الخروقات الظاهرة فإن الخروقات الباطنة واتهام النوايا ليس له حد، مع أن الإسلام دين واقعي وهو لا يمكن أن يعلّق النصر والتمكين بمستوى (الربانية) أو الملائكية للمجتمع، والتاريخ يشهد أن الأمة الإسلامية التي توسّعت فتوحاتها الكبرى أيام الأمويين والعباسيين لم تكن بالمستوى المطلوب عند خطبائنا ودعاتنا اليوم، فلقد كانت المنافسات السياسية والخلافات الفكرية على أشدّها، وكذلك كانت المظالم التي تقع على الأفراد ومنهم العلماء كسعيد بن جبير وأبي حنيفة وأحمد بن حنبل... إلخ وكانت مجالس اللهو والغناء أشهر من أن تنكر.

إن الذين يعلّقون نهضة الأمة وخلاصها بالبراءة من الذنوب وتكوين المجتمع الملائكي إنما يتعلقون بوهم، ويزيدون في الأمة روح اليأس، وهي مثالية لا أساس لها في الشرع، بل إن المجتمع الأول لم يخلُ من هذه الذنوب والخروقات، والضعف البشري أصل وليس استثناء، ولذلك جاء في الحديث: (لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم) رواه مسلم.

إن العبرة بالتوجّه العام في الأمة وقياداتها ومؤسساتها وجماعاتها ومناهجها العملية، وهذا هو ما ينبغي تسليط الضوء عليه في المراجعة

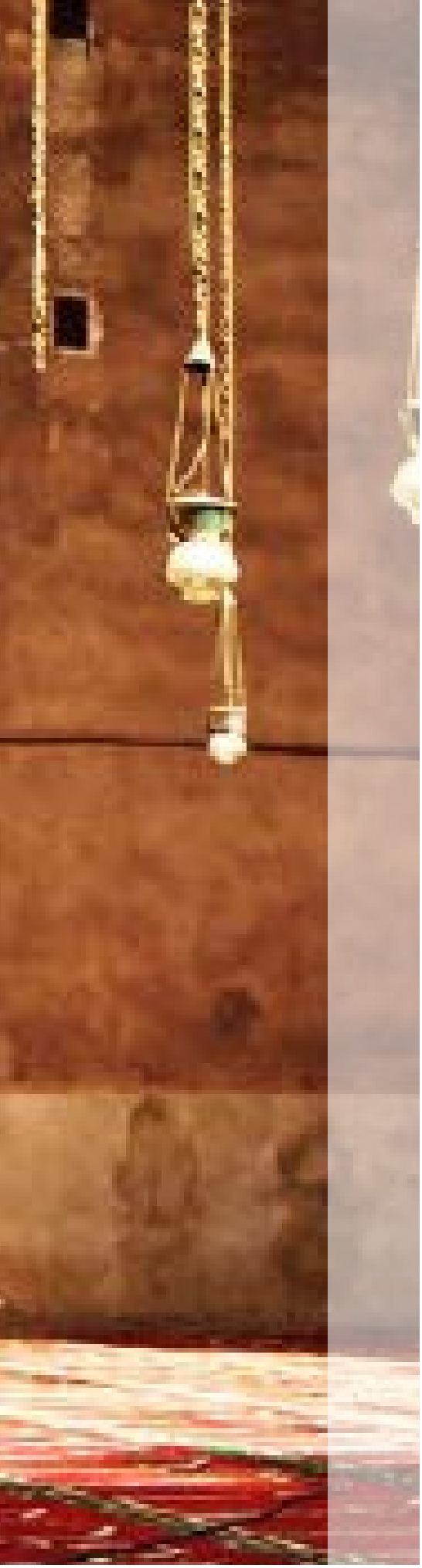

والتقويم والمحاسبة، وأما التركيز على (المحاسبة الفردية) فهو نوع من الالتفاف على أصل الداء، لاعتبارات نفسية وسياسية وفئوية كثيرة. إن التخوف من شماتة الأعداء أو نفرة الأصدقاء شائع في تبرير طمس روح المراجعة والمحاسبة، وقد تستخدم أساليب سياسية (غير أخلاقية) في مواجهة النقد، منها أن النقد يجعل الناقد في جبهة العدو، وهذه ثقافة شائعة لدى أغلب الجماعات العاملة إسلامية وغير إسلامية، جهادية أو سلمية، أما الحكومات فلها أساليبها الأخرى، وصار المفكر مشلول الحركة لا يتمكن من البوح برؤيته وتقويمه للتجارب المريرة التي تعصف بالأمة منذ قرن من الزمان أو يزيد.

إن القرآن الكريم كان يتابع الجماعة المؤمنة وقيادتها ويرصد أخطاءها البشرية، ويتنزل بهذا علنا ليعلمه المؤمنون والكافرون، الأصدقاء والأعداء، على السواء، فيقول مثلا: (حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ...) [آل عمران:١٥٢]، ويخاطب الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم- : (عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ) [التوبة:٤٣]، وقبل هذا بكثير أيام كانت سياط قريش تنال من المسلمين المستضعفين، يتنزل القرآن بقوله: (عَبَسَ وَتَوَلَّى ❖ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى...).

إن خدمة الأعداء ليست بثقافة (المراجعة والتقويم) والمناصحة والمصارحة مهما كانت مؤلمة للنفس، وإنما هي بثقافة (التبرير) والتخدير، فالأولى ستعين على تجاوز الأخطاء بل الاستفادة منها، والثانية تسهم في تورّم الأخطاء تحت الجلد حتى تنفجر في لحظة ما دون الاستعداد لمحاصرتها أو معالجتها.

إن الخطأ الفردي يمكن تلافيه بالنصيحة الفردية والاتصال المباشر، ولذلك شاع في تراثنا مثل هذا الأدب الرفيع:

تغمدني النصيحة في انفرادي

وجنبني النصيحة في الجماعة

فإن النصح بين الناس نوع

من التوبيخ لا أرضى استماعه

أما الأخطاء الجماعية فيصعب حلها بالنصائح (السريّة) -كما يطالب البعض- ثم إن هذه الأخطاء وطرق معالجتها ليست ملكا شخصيا للقائد أو المسؤول، بل هي ملك الجماعة والأمة، وجزء من ثروتها الثقافية والخبراتية، ولذلك كان الرجل البسيط يحاسب أمير المؤمنين على ثوبه الطويل أمام

الناس، ويقول له: والله لا سمع ولا طاعة حتى تخبرنا من أين لك هذا الثوب الذي هو أطول من ثيابنا! وقد رأى عمر في هذا مصدر قوة له ولدولته، وليس سببا في التشكيك أو (زعزعة الثقة في القيادة) وهي تواجه فارس والروم!.

إن ما خسرته الأمة بسبب غياب ثقافة النقد ربما يفوق ما خسرته على يد أعدائها، وهي مستمرة ومستعدة عبر الأجيال لدفع هذه الفاتورة الباهظة من دمها ومالها ورصيدها النفسي والمعنوي والتربوي، وتكرار التجارب الفاشلة والدخول في الجحر الواحد وتجرع اللدغات واللسعات مرة بعد أخرى.

اللوم الثقيل في كل هذا يقع أولاً على أنظمتنا وحكوماتنا التي تمارس معنا أشد أنواع (التقية السياسية)، فنراهم يجتمعون ويفترقون، ويتوافقون ويتخاصمون، ويتحالفون ويتقاتلون، والشعوب تراقب وتتفرج على كل هذه الأفلام والمسلسلات من على شاشة التلفزيون وكأنها غير معنية به لا من قريب ولا من بعيد.

أشد من الكذب..

خالد روشة
almoslim.net

أحدثكم عن معصية بغيضة، تنتشر بين الأوساط السافلة من الناس، وإنما يتصف بها خبيثو القلوب والنفوس، وإنما حديثي عنها، لأنني قد وجدتها قد انتشرت في بعض المجتمعات، نتيجة خلاف فكري أو مذهبي أو اجتماعي، فصار الناس يتهمون بعضهم بهتانا وزورا وكذبا، فيتسببون في إضرارهم، وربما يزداد الأذى الذي يتعرضون له بسبب بهتانهم، فتخرب البيوت، ويفرق بين المرء وزوجه.

إنه البهتان، الذي يجعل أحدهم ممن يحمل في قلبه حقدا وغلا وحسدا، يتقول كذبا على أخيه المسلم، ليتسبب في اتهامه، أو لينقص من قدره.

البهتان هذا هو ذنب يجمع بين الكذب والافتراء والقذف بالزور، فيقول أحدهم عن الآخر: إنه فعل كذا أو كذا، أو قد أخذ كذا، أو إنه قد ضرب هذا أو كسر هذا أو شتم هذا أو فعل كذا وكذا، فيصيبه بتهمته الكاذبة.

قال القرطبي: البهتان من البَهت، وهو أن تستقبل أخاك بأن تقذفه بذنب وهو منه بريء.

فالبهتان هو الكذب الذي يَبهتُ سامِعَه، أي: يدهشه ويحيره، وهو أفحش الكذب، ولا يقتصر الأمر في البهتان على ذلك، بل إنه ليواجهه به أمام الناس، مما يصيب البريء بالبَهت والعجب والاستغراب.

قال تعالى: «وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ».

قال السعدي في قوله تعالى: «وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ».

البهتان: الافتراء على الغير، أي: لا يفترين بكلِّ حالة، سواء تعلَّقت بهنَّ وأزواجهنَّ، أو سواء تعلَّق ذلك بغيرهم»

قال الفضيل بن عياض: في آخر الزمان قوم بهَّاتون، عيَّابون، فاحذروهم؛ فإنهم شرار الخلق، ليس في قلوبهم نور الإسلام، لا يرتفع لهم إلى الله عمل.

وصدق الفضيل، فقد انتشر هؤلاء، وانتشرت صفاتهم، ولم يردعهم خوفُ الله سبحانه، ولا تحذير أهل الإيمان لهم، بل غرتهم مكاسب الدنيا، فاستهانوا بحساب الآخرة!

وقد يكون البهت هذا بسبب نفس

خبيثة لا تحب الخير لغيرها، فتبحث له عن تهمة لتصيبه بها وتضره، وقد يكون بسبب خلاف في الرأي أو بسبب تحزب ما، فيسعى في بهتانه ليزيحه من طريقه.

وقد علمنا الإسلام السبل الطاهرة النقية في الخلاف، وأمر الإسلام بسبيل النبلاء إذا ما اختلفنا في الرؤى أو المواقف، وحتى في حال الظلم، أمرنا ربنا باقتفاء طريق الصالحين، بالتعبير عن الظلم للقضاة والتقاضي الشرعي بالدليل، ولم يعلمنا أن نأخذ حقوقنا بأيدينا لئلا تكون غابة فوضوية.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أتدرون ما الغيبة؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «ذكرك أخاك بما يكره». قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول، فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهتَّه» أخرجه مسلم، قال النووي: يقال: بهتَه بفتح الهاء مخففة. قلتَ فيه البهتان، وهو الباطل، والغيبة ذكر الإنسان في غيبته بما يكره، وأصل البَهت أن يقال له الباطل في وجهه، وهما حرامان.

لقد عد بعض العلماء هذه المعصية من الكبائر، قال الهيتمي: البهت من الكبائر، بل هو أشدُّ من الغيبة؛ إذ هو كذب فيشقُّ على كلِّ أحد، بخلاف الغيبة لا تشقُّ على بعض العقلاء؛ لأنها فيه.

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وحوله عصابة من أصحابه: « بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا، فعوقب في الدنيا، فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئًا، ثم ستره الله، فهو إلى الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه»، فبايعناه على ذلك. متفق عليه.

قال البغوي: معنى الحديث: لا تبهتوا الناس افتراءً واختلاقا بما لم تعلموه منهم، فتجنوا عليهم من قبل أيديكم وأرجلكم، أي: من قبل أنفسكم، جناية تفضحونهم بها، وهم برآء، واليد والرجل كناية عن الذات.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خمس ليس لهن كفارة: الشرك بالله، وقتل النفس بغير حق، وبَهت المؤمن، والفرار من الزحف، ويمين صابرة يقتطع بها مالا بغير حق» أخرجه أحمد وصححه الألباني.

قال المناوي: وبهت المؤمن أي قوله عليه ما لم يفعله حتى حيره في أمره وأدهشه، يقال بهتَه كمنعه بهتا وبهتانا، قال عليه ما لم يفعل. والبهتة الباطل الذي يتحير من بطلانه.

فتاوى

حكم هجرة السوريين إلى بلاد غير المسلمين والتجنس بجنسيتها

المكتب العلمي
لهيئة الشام
الإسلامية

السؤال:

يلجأ عددٌ مِن السّورين الذين دفعتهم ظروفُ الحرب إلى الخروج مِن سورية للسّفر إلى بلاد غربية، لما يجدونه مِن تسهيلاتٍ في المعيشة، وفرص الحصول على عملٍ، وربما يهدف بعضُهم إلى الحصولِ على إقامةٍ دائمةٍ، أو جنسية بعد صعوبات استخراج جوازاتهم مِن سفارات النظام،وقد يكون ذلك رغبةً في تأمين حياة مستقرةٍ، فما حكم ذلك؟ أفيدونا بارك الله فيكم.

الجواب:

الحمدُ لله، والصَّلاةُ والسَّلامُ على رسولِ الله، أمّا بعدُ:

فالأصلُ في السّفرِ والانتقالِ مِن بلاد الشّام إلى البلاد غير الإسلامية في الظّروف الحالية هو: المنع، ويُستثنى مِن ذلك المضطرُّ الذي لا يجد بلدًا مِن بلاد المسلمين يعيشُ فيها، فيجوز له الانتقالُ للعيش في بلاد الكفارِ على أنْ ينتقلَ منها متى ارتفعت ضرورتُه، وكذلك التجنّسُ بجنسيةِ الدُّولِ غير الإسلامية لا يجوز إلا لمن اضطر إلى ذلك، وبيانُ ذلك في النّقاط التّالية:

أولاً: الواجبُ على المسلم المضطر للخروج مِن بلده:

البحثُ عن بلادٍ إسلاميةٍ يأمن فيها على دينه ونفسه وماله ، ويختار مِن هذه البلاد أسلمَها لدينه، وأحفظَها لعرضه .

قال تعالى: (وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً) [النساء: ١٠٠].

قال الطبري في «تفسيره»: « ومن يُفارق أرضَ الشرك وأهلَها هربًا بدينه منها ومنهم، إلى أرض الإسلام وأهلها المؤمنين ... يجد هذا المهاجر في سبيل الله مهربًا ونجاةً، ورحابًا فسيحة «.(بتصرف يسير).

وقد جاء في حديث توبة قاتل المئة نفسٍ: (انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللهَ فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ) متفق عليه، واللفظ لمسلم.

ولا شكّ أنَّ العيشَ في بلاد المسلمين له أثرٌ ظاهرٌ على الإنسان في طاعته وعبادته، وتربية أبنائه.

ويجتنب المسلمُ السّفرَ، والهجرة إلى البلاد التي ينتشر فيها الكفرُ، ويكثر فيها الفسادُ والفتنُ -بلاد الغرب- لما في ذلك مِن مخاطرَ كثيرةٍ، منها:

١- الفتنةُ في الدّين بسبب حال تلك المجتمعات مِن الفساد الدّيني، والانحلال الخُلُقي في مختلف مجالاتِ الحياةِ، والأماكنِ الخاصة والعامة، ووسائلِ الإعلام وغيرها.

٢- الخشيةُ على مستقبل الأبناء؛ لنشأتهم في مجتمعٍ لا يراعي الدّينَ والأخلاق في المدارس، وأنظمة التّعليم، وجميع مرافق المجتمع، مما يُنذر بخطرِ انحرافهم، وربّما انسلاخهم من الدين بالكلية.

٣- ما تحويه قوانينُ تلك البلدانِ مِن أحكام مخالفةٍ للشريعةِ تُخل بقيام الرجل على أسرته، وتتيح للدولة انتزاعَ الولاية على الزوجة والأبناء، وتوكلُ أمرَ رعايتهم وتربيتهم لأُسرٍ أو مؤسسات.

٥-عدمُ القدرة على القيام ببعضِ شعائرِ الإسلامِ في بعض تلك البلاد.

٦- خطرُ الافتتان بالكفار، أو الوقوع في محبتهم، أو الرِّضى بدينهم، أو منكراتهم، أو موالاتهم، وإعانتِهم على المسلمين؛ بسبب طول المعاشرة، وكثرة المخالطة.

ثانيًا : يختلف حكمُ الإقامة في بلاد الكفر بحسب أحوال الإنسان، والظروف المحيطة به:

١- لا تجوز الإقامةُ في تلك البلادِ، واللجوءُ إليها إذا خشي المسلمُ الفتنةَ في دينه، سواء كان ذلك مِن قبيل الشُّبهات، أو الشَّهوات، أو كان مستضعَفًا لا يتمكّن مِن إقامةِ الشّعائرِ الإسلاميةِ، أو لا يأمنُ على نفسِه، أو مالِه، أو عِرضِه؛ لأنَّ اللهَ تبارك وتعالى توعّد الذين يتركون الهجرةَ مِن بلاد الكفر إلى دار الإسلام، وهم على هذه الحال، فكيف بمن هاجر إليها؟! قال سبحانه: (إنّ الذين توفّاهمُ الملائكةُ ظالمي أنفسِهمْ قالوا فيمَ كُنتم قالوا كنّا مستضعفينَ في الأرضِ قالوا ألم تكنْ أرضُ اللهِ واسعةً فتُهاجروا فيها فأولئك مَأواهُم جَهنَّمُ وساءتْ مَصيراً) [النساء: ٩٨].

قال ابنُ كثيرٍ في «تفسيره»: «هذه الآيةُ الكريمةُ عامّةٌ في كلِّ مَن أقام بين ظهراني المشركين، وهو قادرٌ على الهجرةِ، وليس متمكّنًا مِن إقامةِ الدّين، فهو ظالمٌ لنفسِه، مرتكبٌ حرامًا بالإجماع، وبنصِّ

هذه الآية».

وقال النّووي في روضة الطالبين: «المسلمُ إنْ كان ضعيفًا في دار الكفر لا يقدِرُ على إظهار الدّين، حرُمَ عليه الإقامةُ هناك، وتجب عليه الهجرةُ إلى دار الإسلام».

وقد بايع النبي -صلى الله عليه وسلم- عددًا مِن الصحابة على الإسلام، واشترط عليهم عدمَ الإقامة بين المشركين، ففي حديث بَهْزَ بنِ حَكيمٍ، عن أبيه، عن جَدّه: أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- قال له: (لَا يَقْبَلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ مُشْرِكٍ بَعْدَمَا أَسْلَمَ عَمَلًا، أَوْ يُفَارِقَ الْمُشْرِكِينَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ) رواه النسائي، وابن ماجه.

قال ابنُ حجر في «فتح الباري» عن هذا الحديث وما جاء في معناه مِن الأحاديث: «وهذا محمولٌ على مَن لم يأمن على دينه».

٢- يجوز السّفرُ إلى بلادِ الكفرِ الآمنةِ للمضطرِ إذا لم يجد بلدًا مسلمًا آمنًا يقيم فيه، أو يلجأ إليه، ويتقي الله في دينه ما استطاع، كما هاجر المسلمون المستضعفون إلى بلاد الحبشة؛ لأنّ فيها ملِكًا عادلاً، لا يُظلم عنده أحدٌ، وتقييدُه بالمضطر؛ لما سبقت الإشارةُ إليه مِن المفاسد الكثيرة في الإقامة بينهم، التي إن سلم مِن بعضها فلا يسلم مِن بعضها الآخر.

قال ابنُ حزمٍ في «المحلى»: «وأمّا مَن فرّ إلى أرض الحربِ؛ لظلمٍ خافه، ولم يحارب المسلمينَ، ولا أعانهم عليهم، ولم يجدْ في المسلمين مَن يُجيره، فهذا لا شيءَ عليه؛ لأنه مضطرٌ مُكرَهٌ».

ومما يلحق بالضّرورة، أو الحاجة التي تنزّلُ منزلتَها في الظّروف الحالية عدمُ القدرة على الوصول إلى بلادٍ إسلامية، أو عدمُ سماحها له بالإقامة فيها، أو الحاجةُ إلى علاج لا يتوفر إلا فيها، ونحو ذلك، ويسعى جُهدَه في حفظ نفسِه، ومَن ولاه الله أمرَهم. ومَن سافر إلى تلك البلاد مضطرًا فعليه أنْ ينويَ الرّجوعَ والانتقالَ لإحدى البلاد الإسلامية متى زالت الضرورةُ، وقدَر على ذلك.

ولا ينبغي للمسلم أنْ يتساهلَ في الإقامة بين الكفّار لغير ضرورة، كفضول التكسُّب، أو الترفُّه في المعيشة، بل يصبر نفسَه مع المسلمين، ويحتسب ذلك عند الله تعالى؛ صونًا لدينه وذريته، ولا يعرّض نفسَه للبلاء والفتن.

ثالثًا: ويتأكّد المنعُ في حال اللاجئين السّوريين إذا نُظر إلى ما يكتنف هذا اللجوءَ والإقامةَ مِن مخاطرَ عظيمةٍ، ومفاسدَ كثيرةٍ، ومنها:

- عدمُ أمن الطرق، وغلبةُ احتمال الهلاك، كما في السّفر بالزوارق البحرية عن طريقِ التّهريب.

- التكاليفُ المادّية الباهظة، وما يصاحبُ ذلك مِن احتيالٍ، وتزويرٍ يتحمّل المسافرُ تبعتَه عند اكتشافِه.

- فَقْدُ البلادِ الشّاميّةِ فلذاتِ أكبادِها، وخيرةَ أبنائها، وهجرةُ نُخَبِها، وأصحابِ العقول فيها وهي أحوجُ ما تكون إليهم؛ ليرابطوا على ثغورِها في مختلف المجالات العسكرية، والإغاثية، والإعلامية، والتربوية ، وغيرها.

- مساعدةُ النّظامِ في تحقيقِ أطماعِه في تهجير أهلِ السّنة، وتفريغِهم مِن مناطقِهم واستبدالهم، وصولًا إلى تغيير تركيبة السُّكّانِ في البلادِ.

رابعًا: في التجنس قدرٌ زائد على مجرد الإقامة بالخضوع والتبعية للدّولة صاحبة الجنسية..

والتّعهد بالحفاظ على نُظمِها السّياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والاستعدادَ للدِّفاعِ عنها، وقد يؤدي للولاء لها، ومسألةُ التّجنُّس مِن النوازل التي اختلفت فيها أنظارُ المفتين بحسب الأحوال والصّور.

والذي يترجح: تحريمُ التجنّسُ بجنسية الدُّولِ غيرِ الإسلاميّةِ، إلا في حال الضّرورة، كمَن فقد جنسيتَه بسبب الاضطهاد في بلده، أو ضُيِّق عليه بسببِها، أو عجَز عن استخراج الأوراق الثبوتية اللازمة، ولم يستطع أنْ يحصل على جنسية بلدٍ مِن بلاد المسلمين.

قال الشيخ علي الطنطاوي في «فتاواه»: «ومِن الممنوعِ على المسلم أنْ يأخذَ جنسيةَ دولةٍ غير مسلمةٍ؛ لأنه يكون حينئذٍ ملتزمًا بإطاعةِ أوامرِها، واتّباع قوانينِها، بحيثُ لا يجوزُ له مخالفتُها، أو الخروجُ عليها، إلا إذا اضطُرّ إلى ذلك اضطراراً، ولم يعمل ما ينافي شرعَ الله».

وقال الأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي الدولي الشيخ محمد الحبيب ابن خوجة في بحثه المنشور في مجلة المجمع الفقهي:

«التجنُّسُ بالجنسياتِ غيرِ المسلمةِ سواءً كانت

أمريكيةً، أو أوربيةً، أو غيرها، قد تكونُ جائزةً إذا دعت الضرورة إليه، لا حبًا للتشبهِ بأهلِ الكفرِ والتَّسمي بأسمائِهم، أو الاتصافِ بصفاتهم، بشرطِ أن لا يؤديَ هذا التَّجنُّس إلى تعطيلِ أو نقصِ شيءٍ من أمورِ دينه، أو يَجُرُّه إلى موالاةِ أعداءِ الله، وإلا فلا، قال تعالى: (إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ) إلخ الآية».

أمّا إنْ كان التّجنُّس يتضمن موالاةً تامّةً للكافرين، أو الرّضى عن دينِهم، أو تفضيلَ القوانينِ الجاهليةِ على أحكام الشّريعة، أو الرضى بها: فهذا مِن الرّدّة، والعياذ بالله.

واخيـــــــــراً..

ينبغي على مَن اضطُرَّ للخروج مِن سورية -وخاصّةً اللاجئين إلى بلادٍ أجنبيةٍ، أو بعيدة- الاستمرارُ في مناصرة إخوانهم في سورية، ودول اللجوء، بالإعانة المادّية المختلفة، والدَّعْم المعنوي: بالتواصُل والتثبيت والتّصبير، والمُشاركة في الفعاليات الدّعوية، والاجتماعية والسياسية وغيرها لنصرة الشعب المجاهد، وبذل المستطاع للتواصل مع المفكِّرين والكُتَّاب والصحفيِّين، مِن أجل إبراز القضيَّة للنَّاس في البلد الذي يعيشون فيه، والحِرص على فضح أكاذيب النِّظام، ونشر جرائمه، وبذل الجهدِ في توعية النَّاس بهذه القضيَّة العادلة.

نسأل اللهَ سبحانه أنْ يصلحَ أحوال المسلمين عموماً، وأهلِ الشام خصوصاً، وأن يعجّلَ فرجَهم، وينفّسَ كربتَهم، وينصرَهم على عدوِّهم، ويردّ المهجّرين منهم إلى ديارهم سالمين.

والحمد لله رب العالمين.

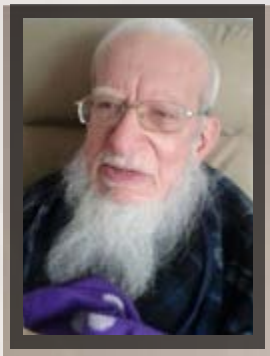

الشيخ رشدي المفتي رحمه الله

جميل ناصر
islamsyria.com

غادرنا علم من أعلام الحق والعلم في الساحل السوري.

نشأ وترعرع الشيخ رشدي في اللاذقية على الساحل السوري من عائلة كريمة. وكان أبوه من وجهاء المدينة. درس العلم الشرعي وتبحر فيه، وعرف بتخصصه في علم الحديث وأصوله، ودرس وتعمق في علوم الفقه حتى أصبح فقيه المدينة.

كان كثير من علماء سوريا يقصدونه من جميع المحافظات لزيارته ولتبادل العلم معه، أعرف منهم الشيخ عبد العزيز عيون السود من حمص، والشيخ العلامة محمد الحامد من حماة وتلميذه عبد الحميد طهماز، والشيخ ناصر الألباني من دمشق، وكثير من علماء حلب ودمشق. ترعرع مع شباب جماعة الإخوان المسلمين من بدايتها في الساحل السوري وكان أحد دعاتهم. كان صديقا للدكتور ممدوح جولحة، وتصدرا الدعوة في المدينة.

عمل مدرساً لفترة في المملكة العربية السعودية وكان قريبا من بعض علمائها. كان رجلا عاقلا محبا داعيا مخلصا لدينه، ونشهد بما نعلم على ذلك، ولا نزكيه على الله، وهو من أوائل من دخل السجون من بداية الستينيات إلى نهاية السبعينيات بتهمة الدعوة الى دين الله. وأعلم أنه كان في بداية الستينيات ينتظر المحكمة بتهمة التحريض الديني بين أفراد الجيش عندما كان يخدم العلم، وكان معه آنذاك بزنزانته الجاسوس الإسرائيلي كوهين، الذي كان ينتظر المحاكمة بتهمة التجسس بعد أن وصل إلى مرتبة عالية في وزارة الدفاع.

غادر سوريا عندما اشتدت الوطأة على أهل الدين في بداية الثمانينيات إلى مصر، ثم الأردن، ثم مصر، وبعدها إلى هولندا بجوار أبنائه حيث غادرنا من هناك الى جوار ربه. وقد أسلم على يديه الكثير من أهل أوربا في المهجر.

كان مدرسا ناجحا ومؤثرا ومربيا فريدا، شهدت له كل مدرسة دخل إليها ودرس بها، كان تأثيره تربويا ودينيا، ولقوة تأثيره تم نقله عندما كان في سورية إلى مدرسة البنات الثانوية، ولكن الداعية لا يصده هذا عن الإكمال لمواصلة دعوته وإصلاح ما يمكن إصلاحه، لم تمض شهور إلا وتحولت مدرسة البنات تحولاً ملفتاً بأن معظم البنات قد تأثرن بالحجاب والحشمة والستر.

ضاقت به العين المراقِبة فأرسلوا إلى القرى النصيرية النائية ليبتعد عن التأثير، ولكن سرعان ما دخل أعداد منهم في الإسلام وحسن إسلامهم، فأعفوه من التدريس بعد ذلك. كان مؤثرا بأخلاقه ومعاملته وصدقه ودماثته ورقة قلبه، وكان صاحب مرح في حديثه.

قدر الله لي أن التقيته بمصر عندما غادرنا سوريا، كنت أكثر من زيارته

لأنهل من علمه وفقهه وحضور مجلسه. وقد كان له تلاميذ علم أينما رحل وارتحل، ولم يسلم حتى في هجرته من السجن، وكان له حظ من السجن في مصر، ثم أبعد عنها مرحلا إلى الأردن. وكان له حكايات وعبر وقصص وخبرات في السجون، وما تعرض له مع النزلاء والمحققين وشخصيات يصعب ذكرها إلا في كتاب.

رحل عنا هذا العالم والمربي وهو ينتظر العودة الى الوطن بعد ٣٥ عاما من الغربة، ليكمل فيما تبقى من العمر مشواره الدعوي في بلده ومسقط رأسه، ولكنه رحل وارتحل إلى جوار ربه.

تكلمت معه قبل وفاته بأيام للاطمئنان عليه، أثنى على الله وحمده وقال: إن معظم وقته صديق للكتاب، فهو خير جليس.

رحمك الله يا شيخنا الفاضل، كنا ننتظر اللقاء على أرضنا الحبيبة ونحلم بتلك الأوقات لنستذكر رحلتنا التي مضت في الغربة وكأنها حكاية فريدة. سلام عليك يوم مت ويوم تبعث حيا.

وقد كتب الأستاذ بلال داود هذه الكلمة في رثائه:

«وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنّ الله عَلِيمٌ خَبِيرٌ»

أستاذنا الفاضل الشيخ المربي رشدي مفتي، تقاذفته الأحداث من منفى إلى منفى بعد أن كان انتقاله من معتقل إلى معتقل، منذ استلم السلطة في بلادنا شُذاذ الآفاق وسُراق الحرية، إلى أن استقر به المقام في السنوات الأخيرة في هولندة، بعد أن ضاقت به كل البلدان العربية والإسلامية، ما زادته السنون والمحن والاعتقالات والمنافي إلا ثباتا على الحق وكلمة الحق...

تشرفت بمعرفته مذ كنت تلميذا في المدرسة، وكان مدرسا مهيبا من بعيد، لطيفا دمثا عن قرب، ما نافسه علميا في الساحل السوري إلا صديق دربه الشيخ الدكتور الشهيد ممدوح جولحة..

أيام الشباب درست عنده الفقه في حلقة صغيرة مغلقة، وكان من أسلوب تربيته تكليف التلاميذ بتحضير بعض الدروس وإلقائها بإشرافه، وبعدها يشرح ويصوب، وأذكر يوما كان نصيبي الحديث عن الصيام ومبطلاته، فسألني أحد الإخوة الحضور: لو ربط صائم حبة حنطة في خيط، ثم ابتلعها حتى استقرت في بطنه، وبعد ذلك سحبها بواسطة الخيط فأخرجها من جوفه، هل يفطر؟؟ قلت له: من يفعل هذا لا صيام عليه، فما رأيت الشيخ ضحك يوما كضحكته ذلك اليوم، ثم ما لبث أن شرح لنا مبدأ الأرأيتية عند الأحناف، وكانت هذه المسألة واحدة منها...

رحم الله تعالى الشيخ رشدي وتقبله في الصالحين.

معاذ الزعبي

بلاد العرب

يقول الشاعر العربي
بلاد العرب أوطاني
وكل العرب إخواني
ولكني من الأعراب لم أسمع
كلاما دافئا حاني
سمعت البعض ينقدني
سمعت البعض يطعنني
وطفلي في خيام الذل مقهور
يعاني البرد في كانون
وتحرقه شهور الصيف
وتخنقه رمال الأرض

فكيف العرب إخواني
نسيتم فعلنا الماضي
ألم يأت العراق لنا
جريحا هائما مضنى
فآوينا وضمدنا وساندنا
ومن بيروت قد هربت
عوائل أرضها حرقت
ضممناها على صدر
وأطعمنا وآوينا
ليشهد إبن بغداد
وينطق كل لبناني

أيعقل أن أرى أمي
في طرقات شارعكم
تناشدكم رغيف الخبز
وقمح بلادنا قبلا
يغذي كل جيراني

❖❖❖

أيعقل أن يقول البعض
سوريٌّ بلا عنوان
وأقدم عاصمات الكون في أرضي
وكل كتابة خطت على ورق
وجدتم أصلها عندي

وبشرى خير خلق الله
للأكوان قد ظهرت
وحدثكم بها بلدي
وخالد في ثرى حمص
وفي درعا ترى العمري
وفي الشهباء قلعتها
دمشق يزينها الأموي
«سوريٌّ بلا عنوان»؟!
أنا التاريخ عنواني
أيا حكام أمتنا
سمعتم طفلة في الشام
تناديكم:
(أعيرونا مدافعكم. .دعوا عنا
مدامعكم)
أيا حكام أمتنا
دموع الحزن في وطني
تفيض على شوارعكم

فتاة الشام قد قتلت
وماتت تحت منزلها بقصف ليس
يفجعكم
فهل عين لها تدمع؟؟
وهل أذن لها تسمع ؟؟
أيا حكام أمتنا
بيوت الشام قد سقطت
وبنت الشام قد غصبت
ألم يسمع لها أحد ..
ولم ينصت لها ملك؟
فلا نبغي مدافعكم
دعوها تحت ظل السقف
فوهج الشمس يحرقها
فلمسها كما خرجت من المصنع
ولمعتها ستبقى دائما أروع
دعوها في مخازنكم
سيأتي دوركم حتما

فابن الفرس يرقبكم
سيأتيكم
سيجلس في مخادعكم
مدافعكم ستبقى حينها تلمع
ولن تنفع
أيا حكام أمتنا
هنا ميدان عزتنا
وعزتكم على جنبات غانية
بطولات تؤدوها
فدوموا في مراقصكم
أيا حكام أمتنا
سنمضي رغم نزف الدم
نضمد جرح أمتنا
ونرفع راية للمجد
ونفخر في شهادتنا
فدوموا في تخاذلكم

فيسبوك

عبد الناصر عبد القادر

❖ «المسلم من سلم المسلمون من لسان ويده».

هل يعلم البعض أن هذا الحديث يشمل الفيس بوك والتويتر..

يحيى حاج يحيى

❖ من جسر الشغور إلى جسر الحج بحلب!

(بعد المجزرة ، وسقوط خمسين شهيداً)

كِلانا للأسى جسرٌ، ولكنْ

جراحُك يا أخي نكأتْ جراحي؟!

عدوك ليس يردعه كلام

فواجه مكره في كل ساحِ

فقد برئت جراحي حين نادت

جموع الشعب: حيّ على السلاحِ

أنس علوان

❖ بهذا الإيمان نُعلن لأصدقائنا ولأعدائنا على السواء على أن المسلمين مصمّمون على ان يأخذوا مصير عالمهم في أيديهم، وأن ينظموا هذا العالم وفقا لرؤيتهم الخاصة.

علي عزت بيجوفيتش

Othman Shaheen

❖ التطمينات المتتالية للطائفة العلوية توحي وكأننا في منتصف القرداحة..

عبد السلام البيطار

❖ لماذا ... عندما يحقق الثوار تقدماً وانتصاراً على الأراضي السورية تتعالى أصوات تدخل عربي ؟!.

فهل هي مسرورةٌ أم مأسورةٌ أم مقهورة ؟! .

أبو الخير

❖ هذه سنة الله في الكون ولن تجدوا لسنة الله تبديلا..

إذا رأيت الظالم مستمرا في ظلمه فاعرف أن نهايته محتومة، وإذا رأيت المظلوم مستمرا في مقاومته فاعرف أن انتصاره محتوم.

زهير سالم

❖ خطاب حسن نصر الله في النبطية عندما قال سنقاتل في كل مكان ثم سكت ..وألحقها في سورية ...

خاف أن تحسب عليه تهديدا لإسرائيل ...

د. عبدالمجيد البيانوني

❖ الظواهر الاجتماعيّة التغييريّة ليست وليدة يوم وليلة.. فربّما احتاج بعضها إلى عقود من السنين .. إنّها تسبقها القابليّة المجتمعيّة على المستوى الفكريّ، وعلى المستوى السلوكيّ ، والقابليّة المجتمعيّة تتمثّل بأسباب ومظاهر عديدة ، وهي تجعل الأسباب الضعيفة قويّة ، والقويّة متمكّنة ..

وكلّما حقّقت تلك الأسباب تقدّماً كان على حساب القوى الأخرى القائمة على الساحة ، حتّى تصبح هي الأصل ، وتطرد القوى الأخرى إلى الهامش ، أو تحاصرها في زاوية القلّة والضعف ، وتحوّلها من الأصل إلى فرع ، ثمّ إلى حالة شاذّة ، ينكرها الناس ولا يتقبّلونها .

والعقلاء ذوو البصيرة العالية ، والوعي السنني ، والحسّ المستقبليّ يدركون المخاطر قبل ظهورها ، ويقدّرون ضررها ، ويحذّرون منها قبل أن تلوح بوادرها ، وتستمكن قوّتها .

أمّا السطحيّون في نظرتهم لهذه الظواهر فلا يزالون ينظرون إليها باستخفاف واستهانة ، وتقليل من شأنها حتّى تصبح خطراً ماحقاً ، وعاصفة عاتية ، تأتي على بنية المجتمع بالتفكيك والتغيير .. وعندئذ لا ينفع الوعي المتأخّر والندم .. وما أبلغ هذه الحكمة ، التي يجمعها شطر بيت من الشعر : « ومعظم النار من مستصغر الشرر » ، ولكنّ كثيراً من الناس يتمثّلون به ولا يعملون ..

facebook